سلسلة كتيبات شبكة بينونة

الأمن في الأوطان

الشيخ
د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

www.baynoona.net @Baynoonanet @BaynoonanetUAE

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي أمر بالإيمان ورتب عليه الأمان، وشرع دين الإسلام سلام لبني الإنسان، والصلاة والسلام على المبعوث بدين الرحمة على الإنس والجان، فاللهم صلّ وسلم عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذه إحدى عشرة مقالة في تحقيق الأمن، والتحذير من أهل التّطرّف والفتن، قد كنت ألقيتها في مدينة زايد بمنطقة الظفرة -حرسها الله- إلا المقال الأخير فقد ألقيت كلماته في ندوة بعنوان «إمارات الخير مواقف حكيمة وقرارات حازمة» بإمارة دبي -حرسها الله-.

أحببت إخراجها للقرّاء قاصدًا منها التذكير بنعمة الأمن ووجوب الحفاظ عليها، خصوصًا في دولة الإمارات العربية المتحدة، التي أصبحت علمًا على الأمن والسلام مع ما قامت به من جهود كبيرة في تحقيق الاتحاد ومواقف حكيمة في دعم الإسلام وقرارات حازمة وخطوات منيرة لمنع تدفق الإرهاب وتسربه سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي.

وقد اعتنيت في هذه المقالات بجانب بيان أهمية الأمن وعظيم نعمته، مع التحذير من أهل التطرف الذين كانوا سببًا لذهاب الأمن في الأوطان، ومن شبهاتهم التي تخطف عقول بعض الناس.

أسأل الله أن يديم على بلادنا الحبيبة الأمن والأمان، وأن يوفق ولاة أمرنا لكل ما فيه خير لبني الإنسان.

كما أسأله أن يجعل ما كتبت نافعًا لديننا الإسلامي الحنيف، حاميًا الأوطان من فتنة الإخوان والداعش ومن سار على طريقتهم من أهل التكفير والتطرف.

المقال الأول: الأمن في الأوطان

الحمد لله اللطيف الرؤوف الرحمن، أحمده بصفاته الكاملة الحسان، وأشكره على نعمه السابغة الكريم المنان.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الديَّان، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، المبعوث إلى الإنس والجان، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان ما توالت الأزمان.

أما بعد:

فنِعم الله كثيرة لا تعدُّ ولا تحصى، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

وهذه النعم لا بدَّ من شكرها لتثبيتها وتقيدها وزيادتها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذَا أَنْعَمَ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ»[١].

وقال ﷺ: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ، لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ، لَمْ يَشْكُرِ اللهَ، وَالتَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللهِ شُكْرٌ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ»[٢].

---

[١] رواه البيهقي في سننه (٦٠٩٣).

[٢] رواه أحمد في مسنده (١٨٤٥٠).

فالنعم لا بدَّ أن تذكر ويُذكَّر بها؛ لتشكر، وتظهر لتعرف ويحمد الله عليها.

قال الحسن البصري رحمه الله: «أكثروا ذكر هذه النعمة فإنَّ ذكرها شكرها»[١].

ومن أعظم الآفات أن يكون العبد في نعمة ولا يشعر بها، وأعظم منها أن يكون في نعمة اختارها الله له فيملَّها ويطلب الانتقال عنها.

يقول الحسن البصري رحمه الله: «إن الله ليمتع بالنعمة بما شاء، فإذا لم يشكر قلبها عليها عذابًا»[٢].

ومن النعم العظيمة التي تحتاج إلى شكر ومحافظة: نعمة الأمن في الأوطان؛ ولهذا عرف الأنبياء قدر هذه النعمة العظيمة، فقال الخليل عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، فطلب إبراهيم من ربه أن يجعل مكة بلدًا آمنًا؛ فاستجاب الله له حيث قال: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٦٧]؛ ولهذا عدَّ الله الأمن منَّة عظيمة امتنها على قريش حيث قال: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾[قريش: ٤].

قال السعدي رحمه الله: «فرغد الرزق والأمن من المخاوف من أكبر النعم الدنيوية الموجبة لشكر الله تعالى»[٣].

فالأمن مقصد شرعي ونعمة دنيوية عظيم؛ يترتب عليها كثير من النعم الدينية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية؛ لذلك أخبر النبي ﷺ أنَّ من أعُطى هذه

---

[١] موسوعة ابن أبي الدنيا (١/ ٤٧٥).

[٢] موسوعة ابن أبي الدنيا (١/ ٤٧١).

[٣] تفسير السعدي (٩٣٥).

النعمة كأنما حاز الدنيا، فقال ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، آمِنًا فِي سِرْبِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»[١]، فمن جُمع له بين الأمن والصحة والقوت، فقد جمع الله له أصول النعم، التي بها يملك العبد الدنيا.

وليُعلم أنَّ أساس هذه النعم هي الأمن، فبالأمن يحصل الإنسان على القوت والصحة، وقد ضرب الله تعالى لنا مثلًا عن قرية كانت آمنة فغيّرت وكفرت؛ فسُلبت نعمة الأمن فحلّ مكانه الخوف والجوع.

فقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

قيل: القرية هي مكة، وقيل: المدينة، وقيل: هي عامة في كل قرية كانت آمنة سالمة من اعتداء العدو، مطمئنة مرتاحة هادئة ساكنة، ولاحظ أن الله قدم الأمن على الطمأنينة؛ لأنها لا تحصل إلا بالأمن.

﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا﴾ أي قوتها وأموالها التي هي من أسباب راحة العيش، ﴿رَغَدًا﴾ أي سهلًا وافرًا هنيئًا من كل مكان ومن جميع الدول برًا وبحرًا.

فاجتمع لها أمران كما يُعبِّر عنه في الوقت الحاضر: الأمن في الوطن، والقوة في الاقتصاد، فالأمن أثمر الطمأنينة وأنتج قوة الاقتصاد، وهما يثمران الحياة السعيدة، وقوة البلاد، وراحة الناس والمجتمعات، وكثرة العمران؛ فيجتمع مع الأمن خمسة مقاصد شرعية ضرورية أساسية: حفظ الدين، والنفس، والمال،

---

[١] رواه الترمذي (٢٣٤٦)، وابن ماجه (٤١٤١).

والعقل، والعرض، فمن اجتمع عنده هذه النعم وجب عليه شكرها لا كفرها؛ لذلك أخبر الله أن هذه القرية قابلت هذه النعمة بالكفر، ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾.

هنا لا بدَّ من وقفة عند كلام المفسرين ولهم في قوله: ﴿فَكَفَرَتْ﴾ أقوال:

الأول: أنها كفرت بعبادة الله حيث أشركوا غيره في عبادته.

الثاني: أنها كفرت لتكذيب النبي ﷺ وعدم الإيمان به.

والثالث: أنها كفرت بأنعم الله بقتل عثمان رضي الله عنه الخليفة الراشد المهدي[١].

وكل هذه الأقوال صحيحة، وكل نوع من أنواع الكفر له أثر كبير في ذهاب الأمن من الأوطان.

فلما حدث منها هذا الكفر تغيَّر حالها، والله ﷻ لا يغيِّر على عبد نعمة حتى يغيِّر هو ويتغيَّر، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الأنفال: ٥٣].

تأمَّل ما الذي حلَّ بهذه القرية لمَّا كفرت بأنعم الله، قال تعالى: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾.

فجاء الله بالفاء دلالة على التعقيب، وعبَّر بقوله: ﴿فَأَذَٰقَهَا﴾ أي أنه أذاقهم الجوع والخوف إذاقة كما يذوق الإنسان المرَّ والحنظل في فمه مذاقًا.

وعبَّر بقوله: ﴿لِبَاسَ﴾ بإلباسهم الجوع والخوف إلباسًا بحيث يكون ملازمًا

---

[١] ينظر: تفسير القرطبي ١٢/ ٥٤٢، والتحرير والتنوير ١٣/ ٢٤٦، ومختصر ابن كثير ٢/ ٣٥٤.

لهم محيطًا بهم من كل اتجاه كالثوب المملوء شوكًا إذا لبسه الإنسان.

وتأمَّل أنَّ الجوع والخوف كانا بعد الأمن ورغد العيش، ففقدُ هذه النعمة وحدها يكفي في التألم؛ فكيف إذا أعقبها بضدها من الجوع والخوف المحيطان بأهل هذه القرية في سائر أحوالهم، وملازمان لها في جميع أوقاتهم فالألم حينئذ أشدّ وأبلغ.

فمما سبق مع إضافة نظرة في واقع البلدان التي سلبت أمنها، يتلخص لنا أن ذهاب الأمن له مفاسد عظيمة على الوطن، منها:

١- ضعف الدين وذهاب شعائره.

٢- تفرق أهله وضعف كلمتهم وقوتهم.

٣- تعرض الأنفس المعصومة للقتل وانتهاك العرض، وسلب الأموال.

٤- ضعف القوة الاقتصادية.

٥- انهيار القوة العمرانية.

٦- تسلط الأعداء عليه.

ولا يرضى عاقل بوقوع هذه المفاسد في وطنه؛ لهذا يجب علينا أن نعمل بالأسباب التي تحفظ لنا أمننا حتى لا نقع فيما يفسد علينا بلادنا.

وقد أشارت التفاسير إلى أساس المفاسد وهي: الكفر بالله، أو بنبيِّه، أو كفر النعم، وهذه المفاسد التي الواحدة منها مفسدة عظيمة فكيف باجتماعها؟!!

وعليه فمن الأسباب التي تديم لنا نعمة الأمن:

السبب الأول: تحقيق الإيمان والعمل الصالح، والحذر من الإشراك والسيئات.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[النور: ٥٥]؛ فالقرية لما كفرت ذهب أمنها، وهكذا بيَّنت هذه الآية أن شرط الأمن عبادة الله وحده.

السبب الثاني: التمسك بسُنَّة النبي ﷺ، والحذر من البدع.

وهذا يعرف بعدة أمور:

١- أن القرية التي أذاقها الله لباس الجوع والخوف كان من أسباب ذلك تكذيبها بالنبي ﷺ.

٢- أن الناظر في حال العرب أنهم كانوا بلا أمن حتى بعث الله محمدًا ﷺ، فهاجر فحلَّ في المدينة الأمن والاجتماع، ثم سرى ذلك في جميع البلاد.

٣- أن الله أمرنا بالردِّ إلى سُنته ﷺ، وأمرنا النبي ﷺ بالتمسك بها عند الاختلاف والفرقة.

٤- أن حال البدع مفرقة للمجتمع ولأهله يقول الإمام أبو العالية: «وإياكم وهذه الأهواء التي تلقى بين الناس العداوة والبغضاء»[١].

---

[١] رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٨٧)

السبب الثالث: لزوم الجماعة تحت ظل ولي الأمر والسمع والطاعة له بالمعروف.

وهذا أيضًا يتضح لنا بأن إلباس القرية الجوع والخوف كان بسبب خروجهم على ولي أمرهم وقتله كما في بعض التفاسير، وفي هذا نحتاج للتنبيه على عدة أمور:

١- وجوب ترابط المجتمع والحذر من أسباب التفرق.

٢- ارتباط المجتمع بولاة أمرهم.

٣- منع كل من يريد تفريق جماعتنا أو يخرج على ولاة أمرنا.

وهذه الأسباب الثلاثة هي الأسباب الرئيسة، وهي التي جمعها النبي ﷺ في وصيته العظيمة، ففي حديث العرباض حين وعظهم رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقالوا: كأنها موعظة مودعٍ فأوصنا، فقال: «عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، وَسَتَرَوْنَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلَافًا شَدِيدًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[١].

اللهم نسألك أن تأمِّن بلادنا وجميع بلاد المسلمين.

[١] أخرجه الترمذي في «جامعه» (٤ / ٤٠٨)، برقم: (٢٦٧٦).

حقوق الطبع محفوظة

شبكة بينونة للعلوم الشرعية